ظاهرة التسول والمتسولون في الأمصار الإسلامية للمدة من (200–400هـ/961–1009م)

أ.م.د. سلسبيل جابر عناد

كلية الامام الكاظم (ع)

الكلمات المفتاحية : التسول. الامصار الاسلامية. المتسولون .

الملخص:

تعد ظاهرة التسول من الظواهر الاجتماعية التي تكثر في المجتمعات التي تعاني من عدم استقرار أو فقر مدقع ، ومن مسمياتهم مكدٍ أو متسول او شحاذ، اتخذوا عدة وسائل للحصول على المال وكسب العيش ومن المسميات المجازية التي اطلقت عليهم بني ساسان* .

واسباب التسول عدة منها الاسباب السياسية نتيجة الاضطراب الذي عانت منه الخلافة العباسي في العصر العباسي بعد تدخل الاتراك في الأمور السياسية ، وهذا بالتالي يلقي بظلاله على الوضع الاقتصادي ، إذ شهدت الفترة موضوع الدراسة اضطراباً في الأسعار ، وشهد موجات من الغلاء والجوع والفقر، وللكوارث الطبيعية ايضاً اثرها المتمثلة بالأمطار الكثيفة والزلازل والفيضانات التي شهدتها الأمصار الاسلامية ، مما يؤدي إلى توقف عجلة الاقتصاد وانهيارها ، أما بالنسبة إلى أكثر الفئات التي زاولت مهنة التسول ، فمن المؤكد إن الطبقة العامة كان بعضها مقتنع بالقليل ، والبعض الاخر اضطر إلى التسول سواء من الرجال أو النساء من اجل الحصول على لقمة العيش ، وكذلك الأعراب الذين كانت لهم حيل شتى ومختلفة والبعض منهم اتخذ التسول كمهنة أو صنعة له ، وكان الادباء والشعراء واصحاب المقامات لمعت منهم اسماء ، اتخذوا من الشعر والادب وسيلة للحصول على المال سواء في مجالس الأمراء والخلفاء أو في المساجد والأماكن العامة .

المقدمة:

كان المجتمع في العصر العباسي يتكون من عدة طبقات وفئات واجناس مختلفة ، بعضها مرفه الحال والبعض الاخر بين المتوسط والفقر المدقع ، إذ إن الخلافة العباسية في عصرها الذهبي العصر العباسي الأول شهدت الازدهار الاقتصادي والفكر والثقافي ، إلا إن الحال تبدل في العصر العباسي الثاني ، إذ ضعفت الخلافة وتزععت مكانة الخليفة نتيجة لأسباب عدة ؛ منها ضعف الخلفاء انفسهم ، وكذلك عدم التوزيع العادل للثروات الذي يولد الطبقية بشكل كبير في المجتمعات ، ومنها أسباب سياسية كتدخل الاتراك في مختلف مفاصل الدولة ، وكذلك الاسباب الطبيعية كالكوارث والزلازل وغيرها ، ومع وجود هذه الاسباب انتشرت ظاهرة التسول ، إذ اضطرت الفئات المعدومة والمحرومة إلى البحث عن سبل العيش بمختلف الطرق والوسائل من اجل الحصول على المال سواء عن طريق الاستجداء أو الحيل المختلفة .

هذه الأمور بالتالي كان لها الأثر المباشر على المجتمع العباسي بشكل عام، فانتشر الفقر والتسول بين مختلف الفئات والاجناس الاجتماعية ، ومن الاسباب المباشرة التي دعتني إلى الخوض في هذا الموضوع هو الغموض الذي يعتري ظاهرة التسول ، وسكوت المصادر التاريخية عن هذه الظاهرة إلا بالشكل اليسير ، إلا إن النصيب الاوفر الذي لاحظناه في دراسة هذه الظاهرة كان لكتب الادب ، إذ تطرقوا لهم ولحيلهم ، وعلى وجه الخصوص الجاحظ في كتابه البخلاء الذي كان له النصيب الاوفر في الحديث عنهم واصنافهم وحيلهم ، وكذلك التنوخي والثعالبي والقالي وغيرهم، لذا حاولنا دراسة هذا الموضوع والخوض في الاسباب التي دفعت هذه الفئة الاجتماعية الفقيرة إلى ممارسة التسول ، باعتبارها ظاهرة خطيرة تندرج تحتها ، مظاهر فساد وعمالة اطفال وحيل ومكر وخداع من اجل كسب عطف الناس، منتشرة في مجتمعاتنا حتى الوقت الحاضر ، وسنحاول بيان ابرز الفئات التي زاولت هذه الظاهرة ، وما الوسائل التي اتخذوها .

اولاً : الاسباب الموجبة للتسول

وردت ظاهرة التسول بعدة مصطلحات خلال مدة بحثنا منها ، الكدية والشحاذة والتسول وساسان ، والاكثر شيوعاً مكدٍ أو متسول الذي يطلق على

الشخص الذي يستنبط عدد لا يحصى من الوسائل والطرق لينال المال ، ويفوز به بشتى أنواع الحيل وكل أصحاب هذه الحرفة يحملون اسم بني ساسان[1] .

هناك أسباب عدة تؤدي إلى انتشار هذه الظاهرة في الأمصار منها سياسية ومنها طبيعية ومنها اقتصادية ، فالأحداث السياسية التي مرت بها الخلافة العباسية في مدة بحثنا كانت مضطربة حيناً ومستقرة حيناً آخر ، ففي فترة الاضطرابات السياسية نلحظ تأثر الأسواق بشكل كبير وبالتالي ارتفاع الأسعار وهذه مما يؤدي إلى تفشي الفقر في المجتمع وخاصة لدى الطبقة الكادحة من العامة ، فبعد استقدام العنصر التركي، وشراء الرقيق وزجهم في المجتمع سواء كعبيد أو كمشاركتهم في الحياة السياسية ، هذا بالتالي مما يؤدي إلى قلة فرص العمل لعامة الناس ، فنلحظ في عهد الخليفة العباسي المعتصم (٢١٧-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) قام بشراء الغلمان الاتراك والبسهم الحرير والديباج، وبذل فيهم الأموال وامعن في شرائهم حتى بلغ عددهم ثمانية عشر ألف مملوك، حتى بنى لأجلهم مدينة سامراء[2]، وبسبب هذه السياسية استفحل أمر الترك حتى أصبح الخليفة العباسي بيدهم كالألعوبة ، ففي سنة (252هـ/866م) بعد تولي المنتصر الخلافة استولوا الترك على امره، ووقعت حروب دامت أشهر طويلة ، حتى جهد أهل بغداد من هذه الحروب ومن الحصار ، الذي يؤدي إلى انقطاع الميرة ومنع وصول التجار إلى بغداد، وبالتالي وصل الأمر بعامة الناس إن يأكلوا الجيف [3]، وبسب هذه الحروب والصراعات السياسية المستمرة تستمر معها موجة الغلاء وارتفاع الأسعار ، والتي تلقي بضلالها على عامة الناس الذين هم المتضرر الأول والاخير من هذه الصراعات ، إذ نلحظ في سنة (260هـ/873م) ارتفاع الاسعار ببغداد فبلغ كر الشعير عشرين ومائة دينار والحنطة خمسين ومائة دينار ودام ذلك شهورا[4] .

ومن حالات استمرار موجة غلاء الأسعار في بغداد ما حدث سنة (272هـ/885م) إذ غلا السعر ببغداد ؛ وذلك بعد إن منع أهل سامراء فيما ذكر سفن الدقيق من الانحدار اليها ومنع احمد بن محمد الطائي الذي ولي إمرة المدينة وطريق مكة في عهد المعتمد، أرباب الضياع من دياس الطعام وقسمه يتربص بذلك غلاء الأسعار فمنع أهل بغداد الزيت والصابون والتمر وغير ذلك من حمله إلى سامراء وذلك في النصف من شهر رمضان، ونتيجة لذلك ضجت العامة بسبب غلاء السعر واجتمعت للوثوب بالطائي فانصرفوا من مسجد

الجامع للنصف من شوال إلى داره بين باب البصرة وباب الكوفة وجاؤه من ناحية الكرخ فصعد الطائي وأصحابه على السطوح فرموهم بالنشاب وأقام رجاله على بابه وفي فناء داره بالسيوف والرماح فقتل بعض العامة وجرحت منهم جماعة [5] .

ومن سلسلة الاضطرابات ما حدث في عهد المقتدر (295-320هـ/907-932م) فثارت العامّة والخاصّة لغلاء الأسعار، واستغاثوا ، وكسروا المنابر، وكان الوزير حامد بن العباس يخزن الغلال، وكذلك غيره من القوّاد ، ونُهبت عدّة من دكاكين الدقاقين، فأمر المقتدر بإحضار حامد بن العبّاس[6]، فحضر من الأهواز، فعاد الناس إلى شغبهم ، فأنفذ حامد لمنعهم ، فقاتلوهم ، وأحرقوا الجسرين، وأخرجوا المحبَّسين من السجون ، ونهبوا دار صاحب الشُّرطة ، ولم يتركوا له شيئاً ، فأنفذ المقتدر جيشاً فقاتل العامّة ، وضرب وحبس بعضهم ، وقطع أيدي من يُعرف بالفساد .

ثمّ أمر المقتدر فنودي في الناس بالأمان، فسكنت الفتنة ، وأمر المقتدرُ بفتح مخازن الحنطة والشعير التي لحامد، ولأمّ المقتدر، وغيرهما ، وبيع ما فيها، فرخصت الأسعار، وسكن الناس؛ وسبب غلاء الأسعار هنا إنما هو ضمان حامد لأنّه منع من بيع الغلال في البيادر وخزنها [7] ، ومن حالات الاضطراب ببغداد ما حدث سنة (318هـ/930م) إذ اختلت الدولة العباسية، وجيشت الغوغاء ببغداد، فركبت الجند ؛ وسبب ذلك، كثرة الظلم من الوزير حامد بن العباس ، فقصدت العامة داره ، فحاربتهم غلمانه ، وكان له مماليك كثيرة ، فدام القتال أياماً ، وقتل عدد كثير وقليل ، ثم استفحل البلاء ، ووقع النهب في بغداد[8] .

وفي خلافة المتقي لله (329-333هـ/940-944م) كان الغلاء المفرط والوباء ببغداد وبلغ الكر مائتين وعشرة دنانير حتى اكل الناس الجيف [9]، وغلت الأسعار ببغداد في سنة (332هـ/943م)، حتى بيع القفيز الواحد من الدقيق الخشكار* الاسمر بنيف وستين درهماً، والخبز الخشكاري ثلاثة أرطال بدرهم ، وكانت الأمطار كثيرة مسرفة جدا حتى خربت المنازل ، ومات خلق كثير تحت الهدم ، ونقصت قيمة العقار، حتى صار ما كان يساوي دينارا يباع بأقل من درهم حقيقة ، وما يسقط من الأبنية لا يعاد ، وتعطل كثير من الحمامات والمساجد ، والأسواق لقلة الناس ، وتعطل كثير من أتاتين (مواقد)الآجر لقلة البناء ، ومن يضطر إليه اجتزأ بالأنقاض، وكثرت الكبسات من اللصوص بالليل

والنهار من أصحاب ابن حمدي وتحارس الناس بالبوقات ، حتى عظم شر ابن حمدي من السرقة ، إلا إن ظفر به صاحب شرطة بغداد فتله ، فخف عن الناس البعض مما هم فيه [10] .

وكانت الاضطرابات السياسية في خلافة المستكفي (333-338هـ/944-948م) لها الأثر الواضح على سوء الأوضاع العامة في بغداد إذ شهدت هذه الفترة غلاء الأسعار اذ ورد في الروايات " حتى ذبح الصبيان وأكلوا ، وأكل الناس الجيف وصارت العقار والدور تباع برغفان خبز "[11] ، وكان الغلاء بصورة لم يسبق لها المثيل في بغداد ، وضجت الناس ، إذ خرجت النساء عشراً عشراً متماسكات يصحن من الجوع طلباً للطعام حتى يمتن [12] .

وفي فترة الصراع بين معز الدولة البويهي وناصر الدولة الحمداني سنة (333هـ/944م) يورد ابن الأثير انها كانت من اشد السنوات جدباً وقحطاً فيصف بعد غلاء الأسعار وصل الحال بالناس إن يأكلوا الميتة والكلاب والسنانير ، وأخذ بعضهم ومعه صبي قد شواه ليأكله ، واكل الناس خروب الشوك ، وكانوا يسلقون حبه ويأكلونه ، فلحق بالناس امراض واورام في احشائهم وكثر الموت ، حتى عجزوا عن دفن الموتى ، فكانت الكلاب تأكل لحومهم ، حتى انحدر الكثير من أهل بغداد إلى البصرة ، فمات اكثرهم في الطريق ، ومن وصل منهم مات بعد مدة قصيرة ، ولم يصلح الوضع وتهبط الأسعار إلا بعد دخول الغلات [13] .

وفي سنة (373هـ/983م) زادت الاسعار زيادة مفرطة ولحق الناس مجاعة عظيمة ، ففي رجب بيعت الكارة الدقيق الخشكار بنيف وتسعين درهماً ، وبلغ كر الحنطة في رمضان ثلاثة آلاف درهم ، وبلغ في ذي القعدة اربعة آلاف وثمانمائة درهم، وضج الناس وكسروا منابر الجوامع ومنعوا الصلاة في عدة جمع ، ومات خلق من الضعفاء جوعاً على الطريق ، ثم تناقصت الاسعار في ذي الحجة[14] .

إضافة إلى الاسباب السياسية التي ذكرناها والتي تلقي بظلالها على الوضع الاقتصادي للأمصار ، ايضاً فان للعوامل الطبيعية تأثيرها المباشر على الأمصار الإسلامية وانتشار الفقر الذي دفع البعض من الناس إلى التسول والاستجداء ، وسنحاول ذكر نماذج من هذه الكوارث مثل الزلازل والبراكين وكذلك انتشار الاوبئة والامراض ، ومنها الزلال الذي وقع في مدينة دمشق سنة (233هـ/847م) وفيما يذكر انه كان من الزلازل المهولة القوية جداً دام ثلاث

ساعات حتى سقطت المنازل والجدران، ونتيجة لذلك التجأ الناس إلى المصلى من اجل الدعاء ، ومات عدد كبير تحت الانقاض ، وامتدت هذا الزلال إلى انطاكية، ويقال انه هلك من أهلها عشرون الفاً ، حتى وصلت هذه الزلال القوية إلى مدينة الموصل وهلك بها من الناس خمسون الفاً [15]، وكان لهذه الزلال الأثر المباشر على تردي الوضع الاقتصادي لهذه الأمصار .

وفي سنة (242هـ/856م) ضربت الزلازل الهائلة مدينة قومس ورساتيقها في شعبان فتهدمت فيها الدور ومات من الناس بها مما سقط عليهم من الحيطان وغيرها بشر كثير ذكر أنه بلغت عددهم خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين نفساً ، وذكر أنه كان بفارس وخراسان والشام في هذه السنة زلازل وأصوات منكرة وكان باليمن أيضا مثل ذلك مع خسف بها[16] ، وفي شهر ربيع الاول سنة (268هـ/881م) زلزلت بغداد واعقبتها بعد ذلك ثلاثة أيام مطر شديد ووقعت بها أربع صواعق[17] ، وضربت الأمصار الإسلامية في سنة (376هـ/986م) سلسلة زلازل متعاقبة فيما يذكر ابن الاثير ذلك بقوله " وفيها كانت بالعراق وبلاد الجبال وقم ونواحيها زلازل كثيرة متتابعة دامت نحو أربعين يوماً تسكن وتعود، فتهدمت الأبنية ، وغارت المياه، وهلك تحت الهدم من الأمم الكثير؛ وكذلك كانت زلزلة بالري ونواحيها، مستهل ذي الحجة، أخربت كثيراً من البلد، وهلك من أهلها كثير؛ وكذلك أيضاً كانت الزلزلة بالطالقان ونواحيها عظيمة جداً أهلكت أمماً كثيرةً "[18]، وهذه الزلازل المتعاقبة التي دامت أربعين يوما اهلك مدن العراق وبلاد المشرق الإسلامي حتى هلك الكثير من الناس بعد الفيضانات التي حدثت نتيجة الزلال وهدمت المباني وغارت المياه .

ومن الكوارث الطبيعية التي تؤثر على النشاط الزراعي بالدرجة الاساس ، والانسان بشكل عام الريح الشديدة العاتية التي كانت تهب في بعض الفترات، منها ما حدث سنة (234هـ/849م) إذ هبت ريح بالعراق شديدة السموم لم يعهد مثلها أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد وقتلت المسافرين دامت خمسين يوما، حتى وصلت إلى همذان وأحرقت الزرع والمواشي واتصلت بالموصل و سنجار ومنعت الناس من المعاش في الأسواق ومن المشي في الطرقات وأهلكت خلقا عظيماً [19].

ومن الكوارث الأخرى ما حدث سنة (280هـ/893م) وفيها فيما ذكر في ذي الحجة ورد كتاب من دبيل من بلاد ارمينية بانكساف القمر في شوال لأربع

عشرة خلت منها ثم تجلى في آخر الليل فأصبحوا صبيحة تلك الليلة والدنيا مظلمة ودامت الظلمة عليهم، فلما كان عند العصر هبت ريح سوداء شديدة دامت إلى ثلث الليل فلما كان ثلث الليل زلزلوا فأصبحوا وقد ذهبت المدينة فلم ينج من منازلها إلا اليسير قدر مائة دار وأنهم دفنوا إلى حين ، حتى كانوا ثلاثين ألف نفس يخرجون من تحت الهدام ويدفنون وأنهم زلزلوا بعد الهدم خمس مرات[20] .

وفي سنة (314هـ/ 926م) هبت رياح عظيمة في رمضان بنصيبين حتى قلعت الشجر وهدمت المنازل وفي شوال وهو اليوم السابع من كانون سقط ببغداد ثلج كثير ، وقبل هذا اليوم بستة ايام برد الهواء برداً شديداً ثم زاد شدة بعد سقوط الثلج وافرط في الشدة جداً حتى تلف اكثر نخل بغداد وسوادها وجف ، وتلف شجر الاترج والتين والسدر وجمد الشراب والمارود والخل، وجمدت الخلجان الكبار من دجلة ببغداد ، وجمد اكثر الفرات بنواحي الرقة وجمدت دجلة بأسرها بالموصل حتى عبرت الدواب عليها ، ثم انكسر البرد بريح الجنوب ومطر غزير[21] .

وفي سنة (380هـ/990م) اشتد الغلاء ببغداد جدًّا، وظهر الموت بها، ولحق بالبصرة حر وسموم تتساقط منه ، وجاءت ريح عظيمة بفم الصلح حرقت الدجلة، حتى ذكر أنه بانت أرضها ، وأغرقت كثيرًا من السفن ، واحتملت زورقًا منحدرًا وفيه دواب ، فطرحت ذلك في أرض جوخى فشوهد بعد أيام[22] ، ومن المؤكد إن هذه الكوارث الطبيعة التي كانت تمر بها الأمصار الإسلامية في فترات مختلفة ، تلقى بظلالها على الوضع الاقتصادي الذي يكون المتضرر منه بالدرجة الاساس الطبقات المتوسطة والفقيرة ، إذ إن انقطاع الميرة والموارد الاقتصادية يؤدي ببعض افراد هذه الطبقات من اجل النجاة بأنفسهم وعيالهم إلى التسول أو الموت جوعاً، وهذا ما سنلاحظه بالسطور القادمة .

فضلا عن ذلك كان للأمراض والاوبئة اثرها على الواقع الاجتماعي؛ نتيجة لموجات الغلاء التي ذكرناها سابقاً ، إذ أسهمت هذه الاوبئة بوفاة الكثير من الناس ، لا سيما الطبقات الفقيرة التي كان السبب في ذلك تدهور المستوى المعاشي الذي اضطرهم إلى اكل الميتة والجيف ، وعدم الوعي الصحي وانعدام الرعاية ، ففي سنة (258هـ/871م) وقع في الناس وباء شديد وموت عريض ببغداد وسامراء وواسط وغيرها من البلاد وحصل للناس ببغداد داء يقال له

القفاع[23] ، ويذكر انه كان كل يوم يموت ببغداد خمسمائة الى ستمائة ووصل الوباء إلى البصرة تساقط منها اكثر المدينة ومات فيها اكثر من عشرين الف انسان[24]

وما حدث في سنة (301هـ/913م) إذ ضرب بغداد وباء شديد مات بسببه بشر كثير ، واغلقت عامة الناس دورها [25] ، وضرب الطاعون في سنة (324 هـ/935م) الأمصار الإسلامية فيذكر ابن الجوزي " وغلا السعر فجاع الناس ، وعدم الخبز خمسة ايام ، ووقع الطاعون واقترب بذلك الموت وخص ذلك الضعفاء ، وكان يجعل على النعش اثنين وربما كان بينهما صبي ، وربما بقى الموت على الطريق على حالهم ، وربما حفرت حفائر كبار فيلقى في الحفيرة خلق كثير ومات بأصبهان نحو مائتي ألف " [26] ، والمتضرر الاكثر من هذه الاوبئة الطبقة الكادحة من لا حيلة لهم الذين وقعوا ضحية هذه الاوبئة ، نتيجة لتدني المستوى المعيشي ، وفي سنة (329هـ/940م) اشتد الغلاء واكل الناس النخالة والحشيش وكثر الموت حتى دفن جماعة في قبر واحد بلا صلاة ولا غسل ، ورخص العقار والقماش حتى بيع ما ثمنه دنانير بعددها دراهم[27] .

وايضا في سنة (344هـ/955م) ضرب الأهواز وبغداد وواسط واقترن بها هناك وباء حتى كان يموت كل يوم الف نفس ، وظهر جراد كثير في حزيران من السنة نفسها فأتى على الغلات الصيفية والاثمار واضر بالشجر والثمار[28] ، وكانت هذه الاوبئة تصيب الساكنين والوافدين ، فكانت هذه الامراض تنتقل عبر المدن الإسلامية نتيجة للتجارة والترحال والتنقل بين هذه المدن دون وجود رقابة صحية ، فيقع ضحيتها ادنى طبقة في المجتمع ، وبالتالي اثرت هذه الامراض على مجمل الحياة العامة فأدت إلى تدني المستوى الاقتصادي بشكل عام ، وموت عدد كثير من الناس .

نتيجة لما ذكرناه من الاسباب الموجبة للفقر ولضيق العيش من ندرة الطعام واللباس ، أدى بالتالي بهذه الطبقة الفقيرة إلى مد يدها سواء بالاستجداء أو غيره لطلب العيش وسد الجوع ، لكن هذا لا يعني إن كل الفقراء بالمجتمع مارسوا التسول ، بل على العكس كان هناك من يموت من الجوع هو وعياله ، ولا يمد يده بسؤال الناس خوفاً من اراقة ماء الوجه ، وهولاء هم الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى { يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا }[29] ، وسنحاول التطرق إلى أكثر الفئات في

المجتمع العباسي مارست التسول ، الذي اتخذه البعض الاخر منهم كمهنة لهم لسهولة الحصول على المال دون بذل جهد يذكر.

ثانياً/ أصناف المتسولين ووسائلهم في التسول :

سنقسم هؤلاء الذين مارسوا التسول بالشكل التالي :

1- الأعراب :

الأعراب هم البدو ، والاعرابي بدوي صاحب نجعة وانتواء وارتياد للكلأ وتتبع لمساقط الغيث ، والأعرابي إذا قيل له يا عربي فرح بذلك وهش له ، والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب له ، فمن نزل البادية أو جاور البادين وظعن بظعنهم وانتوى بانتوائهم فهم أعراب ، ومن نزل بلاد الريف واستوطن مدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء[30] ، وقد ورد ذكرهم في القران الكريم في عدة مواضع منها قول اللّه عز وجل { قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا }[31] ، فهؤلاء قوم من بوادي العرب قدموا على النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) المدينة طمعاً في الصدقات لا رغبة في الإسلام فسماهم اللّه تعالى العرب[32] .

وامتهن الأعراب عدة مهن منها العمل في الزراعة ، وادلاء للقوافل التجارية لقاء مبالغ مالية معينة من التجار لقاء خدماتهم[33] ، في حين قام البعض الاخر منهم بعمليات السلب والنهب ؛ وذلك عن طريق الاغارة على الأمصار الإسلامية في فترات الاضطرابات والفتن[34] ، وكان لهم ولع ومهارة في الصيد حتى برعوا في الرماية التسديد على الهدف ببراعة واتقان ، إذ يورد ابن عبد ربة رواية إن رجلا خرج من واسط إلى الكوفة لشراء ضيعة لرجل آخر ، فلما وصل إلى مسافة بعيدة عن البيوت ، لحق بع اعرابي راكباً على حمار معه قوس وكنانة فقال له اين تتوجه فاخبره إلى واسط ، فسارا سوياً ، فكان الاعرابي يخبر ذلك الرجل حين يرون الضباء ، أي الضباء يريد فيصطادها له ، وكذلك حين يرون قطا ، يخبره أي قطا يريد ، فيصيده دون جهد[35] .

وعانى بعض الأعراب من الفقر حاله كحال بقية المجتمع آنذاك ، ولما كان العطاء مقصوراً على أهل الحاضرة وأهل الرد عن الإسلام ، واما سوى ذلك أي من الأعراب وأهل البادية فأن حقوقهم عند الحوادث التي تنزل بهم ، فلهم في المال المعونة والمواساة ، أما ما يؤخذ من أهل البادية فهو الصدقة وهي مردودة إليهم واجبة لفقرائهم على اغنيائهم في كل عام[36] .

وبالتالي فان الأعراب عانوا من قحط البادية وجدب المعيشة ، فاتخذوا من الكدية أو التسول وسيلة لكسب لقمة العيشة والبعض الاخر اتخذها كمهنة ، إذ خرج المهدي ذات مرة ليلاً يطوفُ بالبيت ، فسمع أعرابية من جانب المسجد تشكي ضيق الحال وضنك العيش ، تقول: " قوم متظلّمون، نَبَتْ عنهم العيون ، وفدَحَتهم الدُّيون ؛ وعضَّتْهم السنون ، بَادَ رجالهم ، وذهبت أموالهم ، وكثر عِيَالهم ، أبناءُ سبيل ، وأَنْضَاء طريق ، وصية الله ، ووصية رسول الله ، فهل آمِرٌ بخير، كلأَه الله في سَفَره ، وخلفه في أهله ، فأمر نصراً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم " [37] ، وكان الأعراب يختارون الأزمنة والامكنة المناسبة للتسول ، ومن اشهرها مواسم الحج ، وتعد المساجد أشهر تجمعاتهم ، ففي رواية وقف أعرابي في المسجد الجامع في البصرة فقال : " قلّ النّيل ، ونقص الكيل ، وعجفت الخيل ، واللّه ما أصبحنا ننفخ في وضح ، وما لنا في الدّيوان من وشمة، وإنا لعيال جربّة ، فهل من معين أعانه اللّه يعين ابن سبيل.."[38] .

وقد حاول الأعراب التقرب من الخلفاء والامراء من اجل الحصول على المال ، اذ قصد أعرابي المأمون فوقف على بابه سنة لا يصل إليه فصاح الأعرابي يومًا : نصيحة نصيحة ، فأدخل على المأمون " فقال له : يا أعرابي ما نصيحتك قال : يا أمير المؤمنين رأيت البارحة رؤيا وقد أحببت أن إني رأُيتك في منامي سيدي يا ابن الإمام على الجواد السابق وكسوتني حلًا طرائف حسنها يزهو لديَ مع الكميت الفائق فقال المأمون : ادفعوا إلى الأعرابي خلعة وفرسًا كميتًا بسرجه ولجامه ."[39] ، ووصل بهم الأمر إلى الكدية حتى في داخل المساجد، إذ ذكر القالي ذلك قائلاً : فيما انا في المسجد الحرام إذ وقف علينا اعرابي فقال: " يا مسلمون ، إن الحمد لله والصلاة على نبيه، اني امرؤ من أهل هذا الملطاط الشرقي المواصى اسياف تهامة، عكفت على سنون محش ، فاجتبت الذري وهشمت العري، وجشمت النجم ، واعجب البهم ، وهمت الشحم ، والتحبت اللحم، واحجنت العظم ، وغادرت التراب مورا ، والماء غورا ، والناس اوزاعا، والنبط قعاعا.. فهل من أمر بميرٍ أو داعٍ بخير وقاكم الله سطوة القادر ، ثم قال فمنحته ديناراً وكتبت كلامه واستفسرت منه مالم اعرفه" [40] .

وقد زخرت كتب الادب بذكر الأعراب وطرقهم والبعض من حيلهم في التسول ، وكذلك الحديث عن مدى الفصاحة والسجع الذي التزموا به من اجل كسب عطف الناس، وشرحه بأسلوب غريب وكلامات غريبة ، كما حدث مع

القالي الذي استفسر من الاعرابي عن الكلمات التي قالها ، ومن ذلك ما ذكره الاصمعي نقلا عن ابن عبد ربة قال :" كنت في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا اعرابي سائلاً ، فقال ايها الناس، إن الفقر يهتك الحجاب ، ويبرز الكعاب ، وقد حملتنا سنو المصائب ، ونكبات الدهور ، على مركبها الوعر، فواسوا ابا ايتام ، ونضوا زمان طريد فاقة وطريح هلكة ، رحمكم الله "[41]، ومن الكلمات المعبرة التي استعملها الأعراب في استمالة الناس ، من اجل حثهم على اخراج المال ، ما قام به اعرابي يسأل الناس قائلاً " اين الوجوه الصباح والعقول الصحاح ، والالسن الفصاح ، والانساب الصراح ، والمكارم الرباح ، والصدور الفساح ، تعيذني من مقامي هذا "[42] .

واحياناً يحاول الأعراب كسب عطف الناس عن طريق تذكيره بالأجر والثواب والعقاب الالهي ، إذ جاءت أعرابية تسأل فقالت: يا قوم طرائد زمان وفرائس نازلة ولحمان وضمٍ، نبذتنا الرجال وأنشزتنا الحال وأطمعنا السؤال، فهل من مكتسب للأجر أو راغب في الذخر ، وسأل أعرابي فقال: سنة جردت وحال جهدت وأيدٍ خمدت فرحم الله من رحم وأقرض من لا يظلم[43] .

2- العامة :

تشكل الطبقة العامة مختلف الاجناس البشرية التي عاشت آنذاك في كنف الدولة العباسية من عرب وترك وديلم وفرس ، وكانوا يشكلون الغالبية العظمى من المجتمع العباسي ، ومنهم التجار وأهل المراتب ، ومنهم من هو ادنى دنى مرتبة من الجمهور وغيرهم ، وسنحاول التركيز في بحثنا هذا على الفئة التي مارست التسول ، سواء من الفقراء أو غيرهم .

وقد عانت هذه الفئة من الفقر وضيق الحال فاتخذ البعض منهم التسول وسيلة لسد الجوع والفاقة ، وكانوا يجوبون البلاد بحثاً عن الطعام والمال ، معللين ذلك قسوة الحياة والمعيشة التي ذكرنا اسبابها في اعلاه ، واتخذوا الحيل العدة من اجل الحصول على المال ، كما فعل احد المتسولين عندما خرج من بغداد إلى حمص مع زوجته ، وكان هذا من الحذاق ، إذ اوهم الناس بزهده ، فكان يجلس طوال النهار في المسجد يصلي دون طعام ولا شراب ، إلا انه كان يأكل بالخفاء بالاتفاق مع زوجته ، فذاع صيته وتوهم الناس انه من الزهاد حتى وصل الأمر بالناس إن يأخذوا التراب من موضع مشيه ، وبالاتفاق

مع زوجته ادعت عليه انه قتل ولدها وفرّ فيضطر المصلحون إلى جمع الدية لولدها ، حتى اكتشف الناس حيله بعد مدة طويلة [44] .

ويذكر البيهقي إن الكدية كانت بمثابة الصنعة للبعض ففي رواية يقول: " سمعت شيخاً من المكدين وقد التقى مع شاب منهم قريب العهد بالصناعة فسأله الشيخ عن حاله فقال: لعن الله الكدية ولعن أصحابها من صناعة ما أخسها وأقلها، إنها ما علمت تخلق الوجه وتضع من الرجال ، وهل رأيت مكدياً أفلح؟ قال: فرأيت الشيخ قد غضب والتفت إليه فقال: يا هذا أقلل الكلام فقد أكثرت ، مثلك لا يفلح لأنك محروم ولم تستحكم بعد وإن للكدية رجالاً فما لك ولهذا الكلام! "[45] ، وفي موضع أخر يمتدح احد المكدين الكدية ، ويعد صاحبها من اغنياء الناس يطوف البلدان كيفما يشاء وفي أي وقت يشاء ، له من طيبات البلدان ونعيمها ويعد هذا النعيم غي قابل للنفاذ ، إذ يصف اطايب الكوفة ، وشبوط وقصب السكر في البصرة ، وأنواع التمر والرمان في بغداد ، والطيب في حلوان ، إذ يقول احد المكدين " أو ما علمت أن الكدية صناعة شريفة وهي محببة لذيذة صاحبها في نعيم لا ينفد فهو على بريد الدنيا ومساحة الأرض وخليفة ذي القرنين الذي بلغ المشرق والمغرب حيث ما حلّ لا يخاف البؤس ، يسير حيث شاء ، يأخذ أطايب كل بلدة؟ فهو أيام النرسيان والهيرون بالكوفة ، ووقت الشبّوط وقصب السكر بالبصرة ، ووقت البرنيّ والأزاذ والرّازقيّ والرمان المرمر ببغداد ، وأيام التين والجوز الرطب بحلوان "[46] .

كان من الشائع عن المتسولين انهم لا يستقرون بمكان ، يجوبون البلدان شرقاً وغرباً دون كلل أو ملل ، إذ يروي احد التجار نقلاً عن التنوخي يقول : " كنت بالأبلة، أريد الخروج إلى البحر، فرأيت سائلاً بباب الجامع ، فصيح اللسان ، مليح المسألة ، فرققت له ، وأعطيته دراهم صالحة ، وخطفت في الوقت إلى عمان ، فأقمت بها شهوراً ، ثم قضي لي أن مضيت إلى الصين ، فدخلتها سالماً ، فإذ أنا يوماً أطوف ، فإذا الرجل بعينه قائماً في السوق يتصدق ، فتأملته ، فعرفته ، فقلت له: ويحك، سائلاً بالأبلة ، وسائلاً بالصين ، فقال: قد دخلت إلى هذا البلد ، ثلاث دفعات ، وهذه الرابعة ، لطلب المعيشة ، فلا أجدها إلا من الكدية ، فأرجع إلى الأبلة ، ثم ارجع إلى ها هنا ، فقال: فعجبت من شدة حرمانه "[47] .

وكانت لهم حيل عدة اوردها الجوبري في كتابه (كشف الاسرار) إذ وصفهم باصحاب الدهاء والمكر والخداع والجسارة على كل ما يفعلونه فمنهم الفقراء والمدرعون واصحاب القرود والقطط ، ومنهم الوعاظ ، ومنهم من يدعي العمى ومنهم من يدعي الاستسقاء ، ومنم من كان يتخد من الاطفال وسيلة للوصل إلى مراده من الكدية ، حتى يقومون بتلمذة هؤلاء الاطفال على المكر والخداع من اجل الكدية والتسول والحصول على استعطاف الناس ، وكانوا يختارون من الاولاد الحسان ويقومون بالفسق بهم ويخرجون بهم إلى ظاهر المدينة ، وأطلق الجوبري على هذه الظاهرة ب " النملة السليمانية " [48] ، ومن حيلهم الأخرى اتخاذهم الوعظ وسيلة للوصول إلى مرادهم ومنها ما ذكره التنوخي إن رجل من الصوفية جاء إلى بجكم التركي[49] وهو بواسط فوعظه وتكلم عليه بالفارسية والعربية حتى ابكاه بكاءاً شديداً ، فلما ولى من بين يديه خارجاً ، أرسل له بجكم ألف درهم وكان يظن انه لن يقبلها ، إلا انه اخذها ، فلما علم بجكم عض على شفتيه وقال " انا لله حيلة تمت عليّ كلنا صيادون ولكن الشباك تختلف " [50] .

وبسب ما مر به اغلب المجتمع من غلاء الأسعار والجوع ، نلحظ إن للعلماء نصيب من هذا الفقر ، إذ كانوا بحاجة إلى رغيف الخبز من اجل العيش ، مثال ذلك ما حدث من محاورة بين أبي سليمان المنطقي السجستاني ، وابو الحيان التوحيدي ، إذ قال له " خلصني ايها الرجل من التكفف ، انقذني من لبس الفقر ، اطلقني من قيد الضر ، اشترني بالاحسان ، اعتبدني بالشكر ، استعمل لساني بفنون المدح ، اكفني مؤنة الغداء والعشاء .. قد اذلني السفر من بلد إلى بلد ، وخذلني الوقوف على باب باب .." [51] .

وكما ذكرنا سابقاً اتخذ المكدين من المساجد مكان لتجمعهم ، وخصوصاً أيام الجمع والاعياد ، ويذكر المقدسي عند وصوله إلى شيراز انه أثار انتباهه عدد المكدين الذين كانوا موجودين في خطبة الجمعة ، إذ يقول " ولا تسمع الخطبة من صياح السؤال "[52] ، وكان الفقراء والمتسولون يقفون على باب الأمراء والوزراء يلتمسون سد حاجتهم وجوعهم ، حتى وقف على باب الوزير ابن مقلة الارامل والفقراء وابناء السبيل ، إذ كان هذا الوزير يد\فع الرقاع الكثيرة في حوائج الناس في مجالس حفله وخلواته ، حتى تجاوزت الرقاع المائة رقعة في اليوم[53] .

وكان للمتسولين شيوخ وتلاميذ ، احدهم يعلم صنعته وحيلها للآخر ، وكان بعضهم يستغني عن التسول عن يصل إلى مرحلة معينة من الغنى فيعلم صنعته إلى غيره ، وقد احتال بعضهم على احد القواد الترك ، إذ يروي احد المكدين عن شيخ لهم ببغداد كيف عظمت حالته واستغنى عن الشحذ فيقول فيقول فسألناه عن سبب تلك النعمة فقال: كنت تعلمت السريانية حتى كنت اقرأ كتبهم التي يصلون بها ، ثم لبست زي راهب وخرجت إلى سر من رأى وبها القواد الاتراك ، فاستأذنت على احدهم فدخلت ، فقلت له انا فلان الراهب صاحب العمر الفلاني ، وذكرت عمراً بعيداً بالشام ، وانا راهب منذ ثلاثين سنة، وذكر انه عقد العزم على الدخول بالإسلام بعد إن رأى النبي محمد بالمنام ودعاه إلى اعتناق الإسلام ، تعلى يد احد القواد الاتراك ، ففرح التركي فرحاً شديداً ، وقطعت الزنار واسلمت بحضرته ، فوصلني ما قيمته خمسة ألاف درهم والثياب وغيرها وعدت إلى منزلي ، وفي اليوم الثاني خدع قائد تركي أخر ، وفعل مثل ما فعل مع الأول ، فأعطاه أكثر من الأموال، واستمر بحيلته إلى إن كشف امره [54].

ويعد الجاحظ أشهر من بين أصناف المتسولين وحيلهم إذ نقل لنا ما جاء على لسان ابن خالويه المكدي وهو خالد بن يزيد مولى المهالبة الذي كان قد بلغ في البخل والتكدية ، وفي كثرة المال ، المبالغ التي لم يبلغها أحد ، الذي عندما سألوه وإنك لتعرف المكدين؟ قال: " وكيف لا أعرفهم! لم يبق في الأرض مخطراني، ولا مستعرض الأقفية، ولا شحاذ ولا كاغاني، ولا بانوان، ولا قرسي ولا عواء، ولا مشعب، ولا مزيدي، ولا إسطيل، إلا وقد كان تحت يدي ، ولقد أكلت الزكوري ثلاثين سنة ، ولم يبق في الأرض كعبي ولا مكد إلا وقد أخذت العرافة عليه " [55] ، وقد اورد الجاحظ والبيهقي[56] بشكل مسهب أصناف المكدين وحيلهم وتعرضا لهم بالشرح والتفصيل.

3-الشعراء :

بعد إن انشتر الفقر في العصر العباسي نتيجة التوزيع الغير العادل للأموال ، والاسباب الأخرى التي ذكرناها انفاً ، ظهرت طبقة من الشعراء المعدمين ، اللذين دعتهم الحاجة والفقر المعدم إلى اتخاذه الشعر كوسيلة للحصول على الأموال ، مستخدمين القصائد الطوال والخطب البليغة والقصص والمواعظ يشكون بها سوء حالهم ، وسنحاول إن نبين ابرزهم خلال مدة بحثنا ، إذ تطرقت كتب الادب إلى هؤلاء بالشرح والتفصيل وأطلق عليهم

شعراء الكدية فظهر نوع من الادب يطلق عليه ادب الكدية ، ومن هؤلاء أبو فرعون الساسي[57] ، كان من أفصح الناس وأجودهم شعراً ، وأكثرهم نادرة ، ولكنه لا يصبر عن الكدية- قوله: رأيت في النوم بختي في زي شيخ أرتِّ[58] ، وكان يصور شده فقره في شعره منها قوله :

وصبية مثل فراخ الذر سود الوجوه كسواد القدرِ
جاء الشتاءُ وهم بِشَرّ بغير قمصٍ وبغير أُزر
حتى إذا لاح عمود الفجر وجاءني الصبح غدوت أسري
وبعضهم ملتصق بصدري وبعضهم منحجر بحجري[59]

ففي هذه القصيدة يصف الساسي حاله وحال عياله من البرد والجوع وعدم قدرته على اعالتهم ، ويعد الاحنف العكبري(ت385هـ/995م)[60] ممن امتهن الكدية وعبر عنها في شعره ، وصفه الثعالبي بانه شاعر المكدين[61] ، كان يصف شعره التكدية واسرارها ، والمكدين واحوالهم ، وكيف يرتعون في الأرض كما يشاؤون ، وانًى يريدون[62] ، ووصفهم قائلاً :

على أني بحمد الله في بيتٍ من المجد
بإخواني بني ساسان أهل الجد والحد
لهم أرض خراسان فقاشان إلى الهند
إلى الروم إلى الزنج الى البلغار والسند[63]

أما الشاعر أبو دلف الخزرجي من شعراء القرن الرابع الهجري[64]، فقد كان كثير الملح والطرف، يدعو شعره إلى العجب والطرب ، من شعراء الكدية، ذكر المكدين ونبه على فنون حرفهم وأنواع رسومهم، له القصيدة المشهورة التي عرفت بالقصيدة الساسانية التي فاقت المائة بيت تضمنت كل حيل المكدين ومنها:

أخذنا جزية الخلق من الصين إلى مصر
إلى طنجة بل في كل أرضٍ خيلُنا تسري
إذا ضاق بنا قطرٌ نزلْ عنه إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها من الإسلام والكفر
فنصطاف على الثلج ونشتو بلد التمر[65]

ولا بد لنا من ذكر الشاعر احمد بن الحجاج(ت391هـ/1000م)[66] شاعر ظريف سخيف اعتبر افرد زمانه في فنه وامتاز شعره بالكثرة ، غلب على شعره

لغة المكدين وأهل الشطارة ، مدح الملوك والامراء والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله ونتائج فحشه ، إلا انه كان غالي مهر الكلام موفور الحظ من الاكرام والانعام ، حتى اشتهر ديوانه ، وبيعت النسخة منه من خمسين إلى سبعين دينار رغم اغراقه بالفواحش [67] ، وله قصائد طوال في الكدية ، وكيف يتغير من حال إلى حال من معاشرة الملوك إلى عدم قدرته على اطعام نفسه والعيش الذليل ، فصل بها الثعالبي ، ومن شعره في الكدية الذي يصف فيه حاله الذميم في غذائه فيقول:

أتعشى بغير خبزٍ وهذا خبري منذ مدةٍ في غدائي
فأنا اليوم من ملائكة الدولة وحدي أحيا بغير غذاء[68]

ولأصحاب المقامات نصيب وافر من التسول ، فالمقامة هي شكل من أشكال القصة العربية يرويها راوية واحد يتحدث فيها عن مغامرات بطل واحد رئيسي في الكدية والاستجداء والسعي إلى الرزق متسلحاً بفصاحة لسانه وسعة ثقافته ، واستلاب العقول عن طريق ما يجود به عليهم من سحر الكلمات[69] ، وفي سنة (279هـ/892م) نودي في بغداد " ألا يقعد على الطريق ولا في مسجد الجامع قاص ولا صاحب نجوم ولا زاجر " [70] ، وكذلك الحال في سنة (284هـ/897م) نودي في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع على قاص أو غيره، ومنع القصاص وأهل الحلق من القعود [71] ، ويبدو إن هذا المنع كان موجهاً فقط للقصاص الذين اساؤوا استعمال القصص ، وخرجوا به عن غايته، أو الذين كانوا يوهون القصص الدينية ويتخذونها اساطير[72] ، ويذكر المسعودي انه كان ببغداد رجل يتكلم على الطريق ، ويقصُّ على الناس بأخبار ونوادر ومَضَاحَك ويعرف بابن المغازلي ، وكان في نهاية الحذق لا يستطيع من يراه ويسمع كلامه أن لا يضحك فوقف يوماً في خلافة المعتضد على باب الخاصة يضحك وينادر، حتى وقف بين يدي الخليفة فقال له " قد بلغني أنك تحكي وتُضحِك، وأنك تأتي بحكايات عجيبة ونوادر طريفة، قلت: نعم يا أمير المؤمنين، الحاجة تَفْتق الحيلة ، أجمع بها الناس ، وأتقرب إلى قلوبهم بحكايتها ، ألتمس برّهم ، وأتعيش بما أناله منهم ، قال: فهات ما عندك ، وخُذْ في فنك ، فإن أضحكتني أجزتك بخمسمائة درهم ، وإن لم أضحك فما لي عليك " [73] ، فهذا ابن المغازلي الذي اتخذ القصص والنوادر وسيلة لكسب العيش حتى ذاع صيته وعرف بالنوادر والطرف .

ويعد بديع الزمان الهمذاني(ت398هـ/1007م) صاحب المقامات الشهيرة، املى اربعمائة مقامة بطلها ابا الفتح الاسكندري في الكدية وغيرها وضمنها ما تلذ الانفس وتشتهي الاعين ، من لفظ انيق قريب المأخذ بعيد المرام ، يملك القلوب ويسحر العقول[74] ، وفي المقامة الساسانية نراه يشكو الفقر والجوع ، كل امانيه هي ملئ بطنه ، وستر جسده ، فمنها قوله :

اريد منك رغيفاً يعلو خواناً نظيفاً
اريد ملحاً جريشاً اريد بقلاً قطيفاً
اريد ماء بثلجٍ يغشى اناءً طريفا
اريد من قميصاً وجبة ونصيفاً[75]

بناءً على ما تقدم نلحظ كيف وصف الشعراء واصحاب المقامات والقصص فقرهم وضيق عيشهم شعرا ونثرا ، فكانوا يصفون قلة الطعام ، وندرة اللباس ، وعسر الحال ، وعدم قدرتهم على اعاشة الاولاد ، فظهرت حالات الاستجداء الشعري سواء الطلب من أهل العامة أو من الخلفاء والوزراء والامراء.

الخاتمة:

بعد دراستنا لظاهرة التسول والخوض في مضمارها ، يتبين لنا إن الفقر هو السبب الرئيس لهذه الظاهرة ، ومن الاسباب الموجبة للفقر التي بيناها سابقاً منها الاسباب السياسية التي تتضح لنا من خلال السياسة التي اتبعها بعض الخلفاء العباسين في التوزيع الغير العادل للخيرات والثروات وبالتالي تكدسها بيد طبقة معينة وحرمان بقية افراد المجتمع ، والتدخلات الخارجية من الاتراك وغيرهم نتيجة لضعف الخلفاء العباسين في الفترة موضوع الدراسة ، وما شهدته هذه الفترة من غلاء الأسعار وكوارث طبيعية ، أدت بالناس إلى اكل الميتة والجيف ؛ لضيق العيش من ندرة الطعام واللباس ، أدى بالتالي بهذه الطبقة الفقيرة إلى مد يدها سواء بالاستجداء أو غيره لطلب العيش وسد الجوع ، لكن هذا لا يعني إن كل الفقراء بالمجتمع مارسوا التسول ، بل على العكس كان هناك من يموت من الجوع هو وعياله ، ولا يمد يده بسؤال الناس خوفاً من اراقة ماء الوجه ، وبالتالي مارست مختلف الفئات الاجتماعية هذه الظاهرة ، واستخدامهم للحيل المختلفة ، واتخاذ البعض الاخر منهم لهذه الظاهرة كمهنة لهم نتيجة للاموال الوفيرة التي تدرها عليهم ، وكان للشعراء نصيبهم الوافر، اذ

وصف الشعراء واصحاب المقامات والقصص فقرهم وضيق عيشهم شعرا ونثرا ، من خلال تجسيد ما كانوا يعانون منه من ضيق الحال ، وعسر العيش ، وعدم قدرتهم على اعاشة الاولاد ، فظهرت حالات الاستجداء الشعري سواء الطلب من أهل العامة أو من الخلفاء والوزراء والامراء .

الهوامش:

---

*هناك عدة روايات في سبب تسميتهم بهذه التسمية منها ، إن ساسان ملك انحطت مرتبته فنسبت إليه المهن، وهو من سلالة اردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية ، وساسان من المسميات التي أطلقها المكدون على أنفسهم كسباً للشقة والعطف من العامة ، ليبينوا للناس تقلب الأحوال، وتأثير الاحوال السياسية التي تجعل من الملوك يقفون على أبواب المساجد طالبين العطف . ينظر: الحسين ، احمد , ادب الكدية في العصر العباسي , ط2 , (دار الحصاد , دمشق , 1995م) , ص٢٣-25 .

(1) الحسين , ادب الكدية , ص13-25 .

(2) ابن تغري بردي , أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله (ت874هـ/1469م) , النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , (دار الكتب , مصر ' لا . ت) , ج2 , ص233

(3) اليماني , يحيى بن أبي بكر بن الحسين العامري (ت893هـ/1487م) , غربال الزمان في وفيات الاعيان , صححه وعلق عليه محمد ناجي زعبي العمر , (دمشق , 1985) , ص233-234 .

(4) الطبري , أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م) , تاريخ الامم والملوك , (دار الكتب العلمية , بيروت , 1407هـ) , ج5 , ص500 .

(5) المصدر نفسه , ج5 , ص593 .

(6) الوزير أبو الفضل الخراساني ثم العراقي، كان من رجال العالم، ذا شجاعة وإقدام، ونقض وإبرام , تقلد أعمالا جليلة من طساسيج السواد ، ثم ضمن خراج البصرة وكور دجلة مع إشراف كسكر , مدة في دولة ابن الفرات، فكان يعمر ويحسن إلى الاكارين، ويرفع المؤن حتى صار لهم كالأب، وكثرت صدقاته، ثم وزر وقد شاخ . الذهبي , شمس الدين أبو عبد الله (ت1382/784م) , سير اعلام النبلاء , تحقيق: اكرم البوشي , (مؤسسة الرسالة , بيروت , 1993م) , ج14 , ص365 .

(7) القرطبي , عريب بن سعيد (ت369هـ/979م) , صلة تاريخ الطبري , (منشورات مؤسسة الاعلمي , بيروت , لا .ت) , ص58 ؛ ابن الاثير , أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت630هـ/1232م) , الكامل في التاريخ , تحقيق : عمر عبد السلام تدمري , (دار الكتاب العربي , بيروت , 1997م) , ج6 , ص662

(8) الذهبي , العبر في خبر من غبر , تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول , (دار الكتب العلمية , بيروت , لا.ت) , ج1 , ص453 .

(9) الحنبلي , عبد الحي بن احمد العكري (ت1089هـ/1679م) , شذرات الذهب في اخبار من ذهب , (دار الكتب العلمية , بيروت , لا .ت) , ج3 , ص321 .

*الخشكار: الخبز الاسمر الغير نقي . مجموعة مؤلفين ، المعجم الوسيط ، (دار الدعوة ، القاهرة ، لا.ت) ، ج١،ص٢٣٦ .

(10) ابن الجوزي , أبو الفرج عبد الرحمن القرشي (ت597هـ/1200م) , المنتظم في اخبار الملوك والامم , (دار صادر, بيروت , 1358هـ) , ج6 , ص335 ؛ ابن الاثير, الكامل في التاريخ , ج7 , ص131 .

(11) الحنبلي , شذرات الذهب , ج3 , ص332 .

(12) العامري , غربال الزمان , ص292 .

(13) ابن الاثير, الكامل في التاريخ , ج7 , ص170 .

(14) ابن الجوزي , ج7 , ص121 -132 .

(15) الذهبي , العبر في خبر من غبر, ج1 , ص325 .

(16) الطبري , تاريخ الامم والملوك , ج5 , ص325 .

(17) الطبري , المصدر نفسه , ج5 , ص553 .

(18) ابن الاثير, الكامل في التاريخ , ج7 , ص219 .

(19) السيوطي , عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م) , تاريخ الخلفاء , تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد , (مطبعة السعادة , مصر, 1952م) , ج1 , ص301 .

(20) الطبري , تاريخ الامم والملوك , ج5 , ص607 .

(21) ابن الجوزي , المنتظم , ج6 , ص201 .

(22) السيوطي , تاريخ الخلفاء , ج2 , ص79 .

(23) ابن كثير , عماد الدين أبي الفداء اسماعيل (ت774هـ/1343م) , البداية والنهاية , (مكتبة المعارف , بيروت , لا . ت) , ج11, ص30 . والقفاع: هو مرض يصيب الرئة ناتج عن فايروس أو برد أو رطوبة . ينظر: ابن ربن الطبري , فردوس الحكمة , ص231 .

(24) ابن الجوزي , المنتظم , ج5 , ص8 .

(25) ابن كثير, البداية والنهاية , ج11 , ص121 .

(26) ابن الجوزي , المنتظم , ج6 , ص282 .

(27) المصدر نفسه , ج6 , ص318 .

(28) ابن الجوزي , المنتظم , ج6 , ص377 .

(29) سورة البقرة , الآية (273) .

(30) ابن منظور , محمد بن مكرم المصري (ت711هـ/ 1311م) , لسان العرب , ط1 , (دار صادر, بيروت , لا .ت) , ج1 , ص586 .

(31) سورة الحجرات , الآية (14) ؛ ينظر كذلك سورة فصلت , الآية (44) ؛ سورة التوبة , الآية (90-97-98-99-101-120) ؛ سورة الاحزاب , الآية (20) ؛ سورة الفتح الآية (11-16) .

(32) ابن منظور , لسان العرب , ج1 , ص586 .

(33) الكندي , أبو عمرو محمد بن يوسف (ت350هـ/961م) , ولاة مصر , (مطبعة الاباء اليسوعين , بيروت , 1908م) , ص77 .

(34) المسعودي , أي الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م) , مروج الذهب ومعادن الجوهر , شرحه: عبد الامير علي مهنا , (منشورات مؤسسة الاعلمي و بيروت , 2000م) , ج3 , ص112 .

(35) ابن عبد ربة , شهاب الدين احمد بن محمد الاندلسي (ت328هـ /939م) , العقد الفريد , ط1 , (دار الكتب العلمية , بيروت , 1404هـ) , ج1 , ص157-158 .

(36) أبو عبيد , القاسم بن سلام (ت224هـ/838م) , الأموال , تحقيق : خليل محمد هراس , (دار الفكر , بيروت , لا . ت) , ص298 .

(37) الحصري , إبراهيم بن علي بن تميم الانصاري (ت453هـ/1061م) , زهر الاداب وثمر الالباب , (دار الجيل , بيروت , لا .ت) , ج4 , ص988 .

(38) القالي , أبو علي اسماعيل بن القاسم (ت356هـ/966م) , الامالي , ط2 , (دار الكتب المصرية , 1926م) , ج2 , ص194 .

(39) ابن الجوزي , المنتظم , تحقيق: محمد عبد القادر عطا واخرون , (دار الكتب العلمية , بيروت , 1992م) , ج10 , ص57 .

(40) القالي , الامالي , ج1 , ص133-114 .

(41) العقد الفريد , ج4 , ص19 .

(42) الجاحظ , عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت255هـ/868م) , البيان والتبين , (دار مكتبة الهلال , بيروت , 1423هـ) , ج3 , ص306 .

(43) البيهقي , إبراهيم بن محمد (ت 320هـ/932م) , المحاسن والمساوئ , (مطبعة السعادة , مصر , 1906) , ج2 , ص222 .

(44) التنوخي , أبو علي المحسن بن علي بن محمد(ت384هـ/994م) , نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة , (لا .م , 1391م) , ج2 , ص351-352-353 .

(45) المحاسن والمساوئ , ج2 , ص217 .

(46) البيهقي , المصدر نفسه , ج2 , ص217 .

(47) نشوار المحاضرة , ج3 , ص78 .

(48) الجوبري , عبد الرحيم بن عمرو الدمشقي , المختار في كشف الاسرار , (دمشق , 1885م) , ص44 -45 -57 .59 .

(49) أبو الخير امير الأمراء زمن الخليفة العباسي الراضي بالله ، الأمير التركي كان عاقلات يفهم العربية ولا يتكلم بها اشتهر عنه أنه كان يدفن الأموال الكثيرة في الصحراء ، أظهرَ العدلَ , وبنى دار الضّيافة للضّعفاء بواسط، وكان ذا أموالٍ عظيمة، وكان يُخْرجها في الصّناديق، ويخرج الرجال في صناديق أُخَر على الجمال إلى البرّ، ثمّ يفتح عليهم فيحضرون، ويدفن المّال، ثمّ يعيدهم إلى الصّناديق، فلا يدرون أين دُفِنوا ، توفي في

سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م) . ينظر: الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك(ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، (دار إحياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٠م) ، ج١٠، ص٤٨ .

(50) الفرج بعد الشدة , ج2 , ص359 .

(51) أبو الحيان التوحيدي , علي بن المحمد بن العباس (ت400هـ/1009م) , الامتاع والمؤانسة , (المكتبة العصرية , بيروت , 1424هـ) , ص413 .

(52) المقدسي ,أبو عبد الله محمد البشاري(380هـ/990م) , أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم , ط3 , (مطبعة مدبولي , القاهرة , 1991م) , ص429 .

(53) التنوخي , نشوار المحاضرة , ج1 , ص83 .

(54) المصدر نفسه , ج8 , ص273-274 .

(55) الجاحظ , البخلاء , ط2 , (دار ومكتبة الهلال , بيروت , 1419 هـ) , ص72 .

(56) ينظر: الجاحظ , البخلاء , ص79-80-81 ؛ البيهقي , المحاسن والمساوئ , ص217-218-219-220 .

(57) التيمي العدوي، من عدي الرباب، اسمه: شويس، أعرابي بدويٌّ، قدم البصرة يسأل الناس بها، وكانت له أشعارٌ طريفة . ابن الجرح , أبو عبد الله بن دواد (ت296هـ/908م) , الورقة في اخبار الشعراء , تحقيق: عبد الوهاب عزام وعبد الستار احمد , ط3 , (دار المعارف , القاهرة , لا. ت) , ص56 .

(58) ابن المعتز, عبد الله بن محمد (ت296هـ/908م) , طبقات الشعراء , ط3 , (دار المعارف , القاهرة , لا .ت) , ص375 .

(59) المصدر نفسه , ص376 .

(60) ابو الحسن عقيل بن محمد العكبري , شاعر المكدين وظريفهم ، ومليح الجملة والتفصيل منهم , وحسن الطريقة في الشعر، , من أهل عكبرا , وذاع صيته في بغداد . ينظر: الثعالبي , عبد الملك بن محمد (429هـ/1037م) , يتيمة الدهر, تحقيق: مفيد محمد قمحية , ط1 , (دار الكتب العلمية , بيروت , 1983م) , ج3 , ص137 .

(61) الثعالبي , يتيمة الدهر, ج3 , ص137 .

(62) المنجد , صلاح الدين , الظرفاء والشحاذون في بغداد وباريس , (مطبعة الرسالة , بيروت , لا . ت) , ص99 .

(63) الثعالبي , يتيمة الدهر, ج3 , ص137 .

(64) أبو دلف الخزرجي الينبوعي مسعر بن مهلهل شاعر كثير الملح والظرف ، مشحوذ المدية في الكدية ، خنق التسعين في الإطراب والاغتراب ، وركوب الأسفار الصعاب ، وضرب صفحة المحراب بالجراب في خدمة العلوم والآداب , وفي تدويخه البلاد . ينظر: الثعالبي , يتيمة الدهر, ج3 , ص413 .

(65) المصدر نفسه , ج3 , ص417 .

(66) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج؛ الكاتب الشاعر المشهور ذو المجون والخلاعة والسخف في شعره، كان فرد زمانه في فنه، فإنه لم يسبق إلى تلك الطريقة، مع عذوبة الألفاظ وسلامة شعره من التكلف، ومدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء، وديوانه كبير، أكثر ما يوجد في

عشر مجلدات، والغالب عليه الهزل، وله في الجد أيضاً أشياء حسنة ,وتولى حسبة بغداد وأقام بها مدة . ابن خلكان , أبو العباس شمس الدين أحمد , وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان , تحقيق: احسان عباس , (دار صادر, بيروت , 1900م) , ج2 , ص168 .

(67) الثعالبي , يتيمة الدهر, ج3 , ص35-36 .

(68) ينظر: الثعالبي , المصدر نفسه , ح3 , ص66 .

(69) الشوابكة , داود غطاشة ومصطفى محمد الفار, دراسات ادبية في الفنون النثرية , ط1 , (دار الفكر, عمان , 2009م) , ص60 .

(70) الطبري , تاريخ الامم والملوك , ج5 , ص604 .

(71) المصدر نفسه , ج5 , ص620 .

(72) الحسين , ادب الكدية , ص148 .

(73) المسعودي , مروج الذهب , ج4 , ص268 .

(74) الثعالبي , يتيمة الدهر, ج4 , ص294 .

(75) بديع الزمان الهمذاني , أبو الفضل احمد بن الحسين (ت398هـ/1007م) , مقامات بديع الزمان الهمذاني , تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد , (المكتبة الازهرية , 1923م) , ص101 .

The phenomenon of begging and beggars in Islamic cities for the period from (200-400 AH / 961-1009 AD)

Assist Prof. Dr. Salsabeel Jaber Enad

Imam Al-Kadhim College

Salsabeeljabir5@gmail.com

Keywords: begging, Islamic cities, beggars.

Summary:

The phenomenon of begging is one of the social phenomena that abound in societies that suffer from instability or extreme poverty, and begging was mentioned in several terms, including, kidney, begging, begging and Sasan, and the most common of which is a beggar or beggar, which is called the person who derives a myriad of means and ways to obtain money, and wins it with various kinds of tricks and all the owners of this craft bear the name of Bani Sasan.

And the reasons for begging are several, including political reasons as a result of the turmoil suffered by the Abbasid Caliphate in the Abbasid era after the intervention of the Turks in political matters, and this thus casts a shadow on the economic situation, as the period under study witnessed a turbulence in prices, and witnessed waves of high prices, hunger and poverty, and natural disasters also have their impact represented by heavy rains, earthquakes and floods witnessed by Islamic cities, Which leads to the cessation of the wheel of the economy and its collapse, as for the most groups that practiced the profession of begging, it is certain that the general class, some of them were convinced of little, and others had to beg, whether men or women in order to get a living, as well as the Arabs who had various and different tricks, and some of them took begging as a profession or workmanship, The writers, poets and owners of shrines shined from them names, they took poetry and literature as a way to obtain money, whether in the councils of princes and caliphs or in mosques and public places.